«إن عمل المعاجم عمل مضجر إلى أقصى حدّ...إنّه الدّقة...إنّه عبء عظيم لا يمكن تصديقه» Gleason

يتطلب عمل المعاجم الدقة والصبر المتناهيين، لأنّه مجال «يستلزم معرفة كل شيء عن اللغة المعنية، والخصائص الملائمة لوحداتها المعجمية، والنظام العام للغة، كما يستلزم تكوين صورة واضحة عن مستعمل المعجم وهدفه وتفكيره» **(أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة قضية التأثير والتأثر، ص 161).**

يعالج المعجمي «ظاهرة مفتوحة لا تستقر على حال. ولذا فإنّ أي محاولة لحصر كلمات أي لغة حيّة تعدّ مطلبا عزيز المنال إن لم يكن مستحيلا» **(نفسه، الصفحة نفسها)**، ويهتم المعجمي بالدرجة الأولى بالمعنى الذي ينظر إليه من أصعب حقول الدراسة.

1.نشأة مصطلح المعجم عند العرب

1.1 معنى كلمة معجم واشتقاقها: تفيد مادة (عجم) معنى الإبهام والغموض، فـ «الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه»، ويقال «رجل أعجمي وأعجم إذا كان في لسانه عجمة»، وقد «سميت البهيمة عجماء لأنّها لا تتكلم»، وسمّى العرب بلاد فارس بلاد العجم لأن لغتها لم تكن واضحة ولا مفهومة عندهم.

فإذا أدخلنا الهمزة على الفعل "عجم" ليصير "أعجم" اكتسب الفعل معنى جديدا من معنى الهمزة أو (الصيغة) الذي يفيد هنا السلب والنفي والإزالة، وعليه يصير معنى أعجم: أزال العجمة أو الغموض أو الإبهام. ومن هنا أطلق على لفظ الحروف لفظ "الإعجام" لأنه يزيل ما يكتنفها من غموض. مثلا: لا يمكن قراءة حرف الباء أو التاء أو الثاء دون وضع النقط؛ أي تم إعجامه.

2.1 تعريف المعجم: وجاء لفظ "المعجم" بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما ويشرحها ويوضح معناها ويرتبها بشكل معيّن، فهو عند اللغويين «كتاب يضم بين دفتيه مفردات لغة ما ومعانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة، وكيفية نطقها، وكتابتها، مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالبا ما تكون الترتيب الهجائي»، وعرفه المعجم الوسيط بأنه «ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم» **(ينظر أحمد مختار عمر،البحث اللغوي عند العرب، ص162).**

إذًا، يكون تسمية هذا النوع من الكتب معجما إما لأنه مرتّب على حروف العجم (الحروف الهجائية)، إمّا لأنه قد أزيل أي إبهام أو غموض منه، فهو معجم بمعنى زال ما فيه من غموض وإبهام، وعلى هذا يشترط في المعجم الشمول والترتيب، وترتكز وظيفته على:

- شرح الكلمة وبيان معناها أو معانيها حاليا أو معانيها عبر العصور

- بيان كيفية نطق الكلمة

- بيان كيفية كتابة الكلمة
- تحديد الوظيفة الصرفية للكلمة
- بيان درجة اللفظ في الاستعمال، ومستواه في لم لمتنوعات اللهجية
- تحديد النبر في الكلمة، إلا أن العرب لم يهتموا كثيرا بالنبر في المعجم لأنه لا يؤثر في معنى الكلمة، عكس المعاجم الغربية التي أولت له اهتمام خاص لأنه يؤثر في معنى الكلمة، مثل اللغة الإنجليزية، فكلمة import يمكن أن تكون اسما أو فعلا وذلك حسب موقع النبر، فإذا كان في المقطع الأول اعتبر Import اسما، وإذا كان النبر في المقطع الثاني اعتبر import فعلا.

3.1 أول من استعمل لفظ "المعجم"

لم يكن اللغويون أول من استعمل هذا اللفظ في معناه الاصطلاحي وإنّما سبقهم إلى ذلك رجال الحديث النبوي، فقد أطلقوا كلمة معجم على الكتاب المرتب هجائيا الذي يجمع أسماء الصحابة ورواة الحديث، ويقال إن البخاري كان أول من أطلق لفظة معجم وصفا لأحد كتبه المرتبة على حروف العجم (البخاري: 194هـ، 256هـ)، ووضع أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحي (210هـ، 307هـ) "معجم الصحابة"، ووضع أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي (ت 317) (المعجم الكبير والمعجم الصغير في أسماء الصحابة).

لم يستعل اللغويون القدماء لفظ "معجم"، ولم يطلقوه على مجموعاتهم اللغوية وإنّما كانوا يختارون لكلّ منها اسما خاصا به، فهذا (العين)، وذاك (الجمهرة) وآخر (الصحاح)...إلخ. ويذهب بعض الدارسين إلى أنّه لم يطلق على المعجم اسم (المعجم) إلاّ في أواخر القرن الرابع الهجري، أما قبل ذلك فهو كتاب، وأوّل معجم بهذا الاسم هو معجم مقاييس اللغة لابن فارس (395هـ).

2.معجم/قاموس: يطلق اسم "القاموس" في استعمالات العصر الحديث على أي معجم، سواء كان باللغة العربية أو بأي لغة أجنبية أو مزدوج اللغة، ويعني لفظ "القاموس" في اللغة العربية قعر البحر أو وسطه أو معظمه، وقال أبو عبيد: «القاموس أبعد موضع غورا في البحر، ومرجع هذا المعنى إلى الفيروزآبادي الذي ألف معجما سمّاه (قاموس المحيط) ق8هـ، وهذا وصف للمعجم بأنه بحر واسع عميق، كما يسمي الآخرون (الكامل، الشامل، الوافي، ...إلخ.

ولشهرة هذا المعجم تردّد القاموس على الألسنة حتى ظنّ بعضهم أنّه مرادف للمعجم، وظلّ محلّ خلاف إلى أن أقرّه مجمع اللغة العربية وجعله يطلق على المعجم من باب المجاز، وتوسيع الاستخدام.

3.<u>المعجم اللغوي/الموسوعة</u>: يتمثل الفرق بين المعجم اللغوي والموسوعة في اختلافات ثلاثة:

أولا: الموسوعة معجم ضخم يشمل مجلدات كثيرة، في حين يتفاوت المعجم اللغوي حجمه تبعا للغاية المنشودة ولنوعية مستعمله.

ثانيا: لا يهتم المعجم اللغوي كثيرا بالمواد غير اللغوية، وإن ذكرها فبصورة مختصرة جدا ويترك التفصيلات للموسوعات، مثال: أسماء الأعلام، والأسماء الجغرافية (الأقطار والمدن والأنهار والبحار والمحيطات...)، والأحداث التاريخية، والتنظيمات الحكومية وغي الحكومية، والمؤسسات العلمية وغيرها.

ثالثا: يهتم المعجم اللغوي بالوحدات المعجمية للغة وبالمعلومات اللغوية الخاصة بها، في حين تعطي الموسوعة معلومات عن العالم الخارجي إلى جانب اهتمامها بالمعاني الأساسية للوحدات المعجمية، فالمعجم اللغوي يشرح الكلمات، والموسوعة تشرح الأشياء.

مثال: لفظة: bridge (جسر) في المعجم اللغوي "أكسفور"، تعني طريق مرتفع فوق نهر أو واد...، أو ممر يصل بين نقطتين مرتفعتين ع سطح الأرض، ويتناول الحديث عن اختلافات أشكال الجسور ومواد بنائها، ويقتبس بعض الأمثلة عن عصور مختلفة.

بينما لفظة bridge في موسوعة دائرة المعارف البريطانية، بعد تعريف الجسر، تتناول هذه الموسوعة معلومات عن أشكال الجسور وتعدد نماذجها (جسور ثابتة، جسور متحركة...إلخ)، وتتناول أيضا إنشاء الجسور من ناحية تاريخية، وتذكر أسماء الجسور المشهورة بنماذجها، ومواد بناء الجسور، وتصميم الجسور، بالإضافة إلى بعض الجداول والرسوم.

4. <u>أنواع المعاجم</u>: عادة ما تطلق كلمة "معجم" على المعاجم الشاملة أحادية اللغة؛ أي التي تتطابق فيها لغة المدخل مع لغة الشرح، ولكن الكلمة قد تطلق كذلك على ما يسمى بالمعاجم الخاصة ذات المجال المحدود فيقال معجم مصطلحات، معجم مترادفات، معجم ألفاظ القرآن...إلخ، كما تطلق على المعاجم ثنائية أو متعددة اللغة، وهي المعاجم التي تختلف فيها لغة الشرح عن لغة المدخل، وتهتم بتقديم المعلومات عن اللغة المشروحة أكثر ممّا تهتم باللغة الشارحة. **(البحث اللغوي عند العرب، ص 163)**، ومن أنواع المعاجم نذكر:

- **<u>المعاجم اللغة</u>**: تفسر ألفاظ اللغة، وتبين مواقع مجيئها في الاستعمال، يتسم المعجم اللغوي بالتوسعية لأنه يسعى إلى تمثيل مفردات اللغة المرصودة وفق حاجة المستعمل، وهو لغوي لأنه يهتم

بطبيعة الكلمات وأنواعها النحوية، وصيغها الخطية والصوتية، ومعانيها واستعمالاتها، ومستوياتها اللغوية، والبحث في أصلها مرتبة وفق تطورها عبر الزمن، ويتضمن المعجم اللغوي: (معجم الصرف، الذي يعالج الصيغ والأوزان، تغيراتها، وتطوراتها، ومسالك

معانيها، وقد عرّف العرب هذا النوع من المعالجة الدقيقة وأفاضوا في وصفها، كم فعل ابن السيدة أبو الحسن بن إسماعيل النحوي الأندلسي (ت458هـ) في معجمه "المخصّص".وابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت276هـ) في كتابه "أدب الكاتب"، "إصلاح المنطق" لابن السكيت (ت244هـ))، (معجم النحو، يعالج فيه الأسماء والأفعال والأدوات والنعوت والظروف...مثل المعاجم المتخصصة في الإعراب والصرف، ومعاني الحروف في العربية)، (معجم النظام الإملائي، يهتم بطريقة الكتابة والنطق، والكشف عن أوزان القوافي وتفسير وضعية علامات التنقيط)، (معجم الدلالي، يهتم بمعالجة المفردات من حيث معانيها ومكانتها في اللغة، أسباب وجودها وتطورها ، الترادف، والتضاد، ويمكن أن يشمل على الحديث عن الجانب البديني أو الإيديولوجي: الألفاظ الإسلامية، أو النصرانية أو اليهودية...)، (معجم الوحدات الجملية، أي التراكيب أو التعابير الجاهزة والمعبّرة عن معاني الحياة بمختلف أشكالها والتي تدور بشكل فني في لسان أو وسط أو تخصص، أو فترة زمنية ما، أو هي خاصة بشخص معيّن)، (المعجم السياقي، يعنى بالسياقات التي يرد فيها لفظ معين، يشير إلى جميع الدلالات التي تصاحب مختلف السياقات، ويحدد ميدان استعمال الكلمة بعد توضيح اتجاهاتها الدلالية)، (معجم الأمثال ومعجم التعابير).

- **المعاجم الثنائية:** تتعرض لألفاظ لغة أجنبية، فتشرحها لفظا لفظا... وربما لأكثر من لغتين.
- **المعاجم الموضوعية**: (الموضوع) ترتب ألفاظ اللغة وفق معانيها، بحيث تتعرض لكل ما يرتبط باللفظ، مثلا: "لون" تجد كل ما يتعلق بها من الألوان على اختلافها واختلاف درجاتها ومنه (المخصص لابن سيدة)
- **المعاجم التأصيلية**: تبني أصل اللفظ فتذكر ما هو أصل منها، وما هو دخيل نحو (المعرب للجواليقي)
- **المعاجم التاريخية:** تهتم بتطور اللفظ تاريخيا مثل لفظة " أدب" تهتم بمعناها وبكل دلالتها في كل مراحلها.
- **دوائر المعارف:** تتعدى المعاجم العادية حيث تزيد عن معنى الكلمة، المعرفة الشاملة بها، نشأة وتطورا ومدارس ورجالا، مثل كلمة "رسم" تشرحها ثم تعرف بمذاهبها وأعلامها وتزيد البلدان والشعوب (دائرة المعارف لبطرس البستاني)
- **المعاجم المتخصصة**: تهتم بجمع الألفاظ المتعلقة بعلم أو فن ما (الطب، الإقتصاد...) مثل معجم التذكرة للأنطاكي).